مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 12، عدد رقم: 03، سبتمبر 2023، صص: 189- 204
تاريخ الاستلام(2023/01/03)تاريخ القبول (2023/09/12)تاريخ النشر (2023/09/30)

تمثلات الأنساق الثقافية في الحكاية الشعبية
حكاية من حكايات عبد العزيز العروي

Representations of Cultural Patterns in Folktales: A Story of Abdul Aziz Al-Aroui's Stories

نسيبة مساعدية
جامعة عباس لغرور-خنشلة(الجزائر) ، Messaadia.noussaiba@univ-khenchela.dz

ملخص:
تجسد الحكاية الشعبية تجارب إنسانية متنوعة مع مزج تخيلي وعجائبي، فتحقق بذلك البعدين الجمالي والقيمي، كما تتجلى المتعة والفائدة ضمنها، وعلى مدّار التاريخ البشري ارتبطت الحكايات الشعبية بالفرد منذ الصغر، إلى مراحل عمرية متقدمة وفئات مختلفة وكذا بيئات اجتماعية متباينة. وقد استوعبت الحكاية الشعبية مختلف السياقات والمضامين، فبقيت حاضرة ومتفاعلة في العقل والوجدان، وقد تم اختيار حكاية شعبية تونسية هي "ولد المرا الفقيرة" لعبد العزيز العروي، لما تحمله من مضامين و أنساق متخفية وراء السرد السلس والبسيط. وتروم هذه الورقة البحثية تقصي أبرز الأنساق الثقافية المنضوية داخل متن الحكاية، ومرتكزاتها الدلالية والجمالية.

كلمات مفتاحية: أنساق، ثقافية، حكاية شعبية، تونسية، تمثلات، مضامين.

Summary:
The folk tale embodies various human experiences with a mixture of the imaginative and the miraculous, thereby achieving the aesthetic and value dimensions, and enjoyment and benefit are also evident within it. Throughout human history, folk tales have been linked to the individual from childhood, to advanced age stages and different groups, as well as different social environments. The folk tale has absorbed various contexts and contents, and has remained present and

المؤلف المرسل: نسيبة مساعدية، الإيميل: Messaadia.noussaiba@univ-khenchela.dz

interactivein the mind and conscience. A Tunisian folk tale, “The Poor Woman’s Child” by Abdel Aziz Al-Aroui, was chosen because of the contents and patterns it carries hidden behind the smooth and simple narration. The primary objective of this research paper is to examine and analyze the predominant cultural patterns intricately interwoven within the tale, focusing on its semantic and aesthetic foundations. By conducting this investigation, a deeper comprehension of the cultural significance of"The Poor Woman’s Child" can be attained. Consequently, the study aims to enhance understanding of the cultural context and appreciation for the aesthetic and moral dimensions that render folk tales enduring and cherished forms of storytelling.
Keywords: patterns, culture, folk tale, Tunisian, representations, contents

مقدمة

حظيت المأثورات الشعبية بكثير من الاهتمام جمعًا وتصنيفًا ودراسة في الآونة الأخيرة، فتم جمع العديد من النصوص الشعبية المغمورة وإعادة تحقيقها ونشرها، وكذا تنويع دراستها وآليات مقاربتها، فانبرى مالكثير من الباحثين إلى وضع بصمتهم الخاصة في مجال الدراسات الشعبية؛ نظرياً وتطبيقًا، ما زاد في غنى مجال الأدب الشعبي.

من جانب آخر فكل مجال من مجالات التراث الشعبي يعد بحق حقلا خصبًا للبحث وفق مختلف التوجهات النقدية، وإذا يممنا شطر التراث المجموع في المؤلفات المختلفة، فإنه عظيم الأثر في النفوس والعقول ولا يمكن إغفال جهود مؤلفيه، ومن بين الأشكال الأدبية الشعبية نجد الحكاية الشعبية التي لقيت عناية مهمة من طرف المختصين، ومن بين أعلام مُدوني الحكاية الشعبية نلفي عبد العزيز العروي أو كما يُلقب ب" بابا العروي"- لمتانة أواصر الروابط الوجدانية في نفوس التونسيين- له الكثير والكثير من الحكايات الشعبية التونسية دونها في الكتب وقام ببثها في برامج إذاعية، وفي المدة الإخيرة تم إعادتها في شكل حلقات تلفزية مصورة، لا زالت تحظى بنسب مشاهدة مرتفعة.

وتحقق حكايات عبد العزيز العروي الكثير من المتعة والفائدة في الآن ذاته، وهو ما دفعنا لاختيارحكاية **"ولد لمرا الفقيرة"** مدونة للتطبيق من خلال البحث في ترسبات الأنساق الثقافية فيها، فكيف ستتجلى تلك الأنساق؟ وأي متعة قرائية وجمالية ستمنح القارئ والباحث فيها؟، وهو ما ستجيب عنه مفاصل هذه الورقة البحثية.

1. .مفهوم النقد الثقافي

وضح تيودور أدرنو Theodor Adorno النقد الثقافي في كتابه موشورات بأنه مفهوم برجوازي أنتجه المجتمع الاستهلاكي الذي يحُّول الثقافة إلى سلعة ويُخضعها لدوائر التشيؤ والتسليع والاستهلاك[1]، وقد عُني هذا النقد بالبحث عن القيم الجمالية والبعد الأخلاقي في النص الأدبي وذلك على يد ليفنز Levens، ثم توسع مفهوم النقد الثقافي مع جهود الأنثروبولوجيين ببيّان أنساق القيم وتعينها وتقييمها بحيث تجري عبرها التأثيرات الجمالية، دون أن يدعي هذا اللون من النقد الإلمام العريض بالقيم الجمالية[2]، أي أن النقد الثقافي ابتعد عن التوجه النقدي المؤسس على تقفي المكونات الفنية وعناصرها الأسلوبية وكل ما له صلة بعلم الجمال إلى البحث عن المتواري والمختفي وراء الخطاب الأدبي.

بيد أن النقد العربي اهتم بالنقد الثقافي في مرحلة مخاض فكري وسياسي وثقافي جد حساس، ومن أوائل النقاد الذين مهدوا الساحة النقدية العربية للاستفادة من - النقد الثقافي-كان الناقد السعودي عبد الله الغذامي الذي بسط له في عدة مؤلفات نحو؛ ثقافة الأسئلة بتحليله لقصيدة عابرون في كلام عابر، وكتابه الخطيئة والتكفير، ثم أعلن عن ذلك بوضوح في كتابه: النقد الثقافي؛ قراءة في الأنساق الثقافية العربية سنة2000 م.

لقد أعطى الناقد عبد الله الغذامي عدة تعريفات للنقد الثقافي نذكر منها؛« إن النقد الثقافي فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن ثم فهو أحد فروع اللغة وحقول الألسنية، معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي وما هو كذلك سواء بسواء، من حيث دور كل منهما في حساب المستهلك الثقافي الجمعي، إنه معنّي بكشف لا الجمالي، كما هو شأن النقد الأدبي، وإنما همّه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي/الجمالي، وكما لدينا نظريات في الجماليات، فإن المطلوب هو إيجاد نظريات في (القبحيات)، لا بمعنى البحث فيه عن جماليات القبح، مما يعتبر إعادة صياغة وإعادة تكريس للمعهود البلاغي في تدشين الجمالي وتعزيزه، وإنما هو المقصود بنظرية القبحيات هو كشف حركة الأنساق وفعلها المضاد للوعي وللحس النقدي»[3]، يُؤكد عبد الله الغذامي بأن النقد الثقافي جزء من النقد الأدبي وأنه يشمل عل كل ما يتصل بعلم اللغة والدراسات الألسنية، فهو نقد يبحث في المضمر والخفي داخل النص وتتبع مساراته وتجاذباته النقدية والثقافية.

2. تعريف النسق الثقافي

يعامل النقد الثقافي النص بوصفه حامل نسق، وهذا النسق هو الذي يسعى للكشف عنه وإخراجه للعلن بعد سعي لتمرير تلك الأنساق الثقافية، يعد ليفي شتراوس Lévi- Claude Straussمن أوائل الذين نقلوا مصطلح النسق إلى الحقل الثقافي في دراسته" الأنثروبولوجيا البنيوية 1975"، وفي علم الاجتماع يُوصف المجتمع «بأنه نسق اجتماعي عام، لينتج عنه مجموعة أنساق فرعية، انتظمت معه وشكلته فتولد عنه نسق سياسي وآخر اقتصادي وعلمي وثقافي، تنسج علاقات فيما بينها في مسافات متفاعلة ومتداخلة» [4]، أي أن الانتظام الداخلي لبنية المجتمع يشكل نسقًا دالاً عليه، وعلى مرجعيته السياسية والتاريخية والاقتصادية إلى غير ذلك من الأنساق المكونة للاطار الاجتماعي.

وفيما ذهب إليه الناقد عبد الله الغذامي في تحديده للنسق قال أنه يجب أن يتوفر على مجموعة من الشروط الجمالية والمعرفية، ويكتسب قيمًا دلالية وسمات اصطلاحية خاصة تتحدد في: أن النسق يتحدد عبر وظيفته وليس عبر وجوده المجرد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أحدهما ظاهر والآخر مضمر[5]، فالنسق الثقافي لا يعمل في ذهن المتلقي إلا من خلال الشفرات التي تعمل على تحريكه وتنشيطه وهذا انطلاقا من اللغة كوعاء ثقافي يصب فيه الأديب مرجعياته ونواميسه.

كما يقترح عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز Talcott Parsonsتعريفًا للنسق «إنه نظام ينطوي على أفراد مفتعلين، تتحدد علاقاتهم بعواطفهم وأدوارهم التي تنبع من الرموز المشتركة والمقررة ثقافيا،في إطار هذا النسق وعلى نحو يغدو معه مفهوم النسق أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي»[6]، ليُصبح بعدها مفهوم النسق متضمنًا أبعاد النص كافة، ومكونا لأسس تلقيه وسبل التفاعل معه، كما لا يُشترط لتوفر النسق نصًا بعينه فهو ينفتح على النص الجمالي الفصيح والشعبي، وعلى المتلقي الكشف عن الترسبات الثقافية المضمرة لتاريخ ولغة مجتمع ما من المجتمعات لها صفة الهيمنة والتسلط.

3. مفهوم الحكاية الشعبية

تُعد الحكاية الشعبية من الأجناس التعبيرية النثرية في الأدب الشعبي، وهي قديمة قدم الإنسان، فمنذ أزمان بعيدة استخدم الحكي للإستئناس وأخذ العبرة والمنفعة، وبقيت متداولة ومتوارثة من جيل إلى جيل، عرفت الحكاية في المعجم الوسيط على أنها «حكوت الحديث أحكوه، أي كحكيته أحكيه، وحكيت فلانا، وحاكيته شابهته، وفعلت فعلها وقوله سواء، وعنه الكلام حكاية نقلته، والعقدة شدتها كأحكيتها»[7]، أما في المعاجم الإنجليزية «حكاية يصدقها الشعب بوصفها حقيقة، وهي تتطور مع العصور وتتداول شفاها، وتختص بالحوادث التاريخية الصرفة، أو الأبطال الذين يصنعون التاريخ»[8].

تعرف الباحثة نبيلة إبراهيم الحكاية الشعبية انطلاقا من المعاجم الألمانية قائلة «الخبر الذي يتصل بحدث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل لآخر، أو هي خلق حر للخيال الشعبي ينسجه حول حوادث مهمة وشخوص ومواقع تاريخية»[9]، أي أن الحكاية الشعبية تسرد خبرا متصلا بحدث ماض، متوسلة الرواية الشفوية لعرض الحدث وصفات الشخصيات وأدوارها وكل ما يتصل بالواقع الإنساني، ويعرفها الباحث عبد الحميد بورايو بأنها «شكل قصصي، يتخذ مادته من الواقع النفسي والاجتماعي الذي يعيشه الشعب»[10]،

من جانب آخر «ترتكز الحكاية الشعبية على وجه الإجمال على حدث أو على بطل، وقد يكون هذا الحدث اجتماعيا أو سياسيا أو نفسيا، وقد يكون البطل طفلا صغيرا أو فتى يافعا أو بطلا شعبيا قوميا وتاريخيا، ولكن مهما كان الحدث ومهما كان عمر البطل فإن الشيء الأساسي الذي نلاحظ هو أن الحكاية تصور صراعا كبيرا بين الخير والشر، بين الأخلاق الحميدة والصفات الذميمة السيئة»[11]، بمعنى أن الحكاية الشعبية تسرد حدثًا مهما أو مغامرة بطل، تتعلق بجانب من جوانب الحياة البشرية إما نفسي أو تاريخي أو اجتماعي، كما أنها تتعرض لتجسيد الصراع الأزلي بين قيمتي الخير والشر، ودور البطل في نصرة الخير وهزم الشر، لتؤكد على منظومة القيم الأخلاقية السائدة في مجتمع الحكاية.

تمتاز الحكاية الشعبية بعدة ميزات «ولابد للحكاية من شرط جوهري، هو أن تكون متفننة جيدة ممتعة منطقية في بنائها، تحمل إلى الناس غاية أخلاقية»[12]، الترابط والتسلسل بين الأحداث لا مناص منه، فكل حدث يسوق معه متوالية من الأحداث تصب

في مسار سردي خاص بموضوع الحكاية، إضافة إلى أنها تسعى لنصرة القيم الأخلاقية ومبادئ الخير من خلال نموذج البطل المحبوب والشهم، لذا من بين أهم ركائز استمرار تداول الحكاية الشعبية التشبث بالروح الخيرة والسلاَّم، مع إشاعتها لجو من المتعة والتسلية وارتباطها بالألفة وتجمع الأبناء في أحضان الأجداد.

إضافة إلى ذلك تحفل الحكاية الشعبية بفنية المزَّاوجة بين عنصري الواقع والخيال، ما يضفي جودة فنية ومزية حاصلة في الحكاية الشعبية «إنها المتعة الحاصلة عن تلقي أو إلقاء الحكايات الشعبية، وهي تلبية لخياله المتدفق من ناحية وتلبية لاحتياجاته النفسية من ناحية أخرى»[13]، فالمجتمع بمختلف أطيافه وفئاته العمرية مولع بسماع والاستمتاع بالحكاية الشعبية، من قديم العهد إلى يومنا هذا لارتباطها بمختلف وقائع الإنسان الحقيقية والمتخيّلة، وكذا استجابتها لمتطلبات النفس البشرية.

4. عبد العزيز العروي

شخصية محفورة في وجدان الكثير من التونسين لحقب متلاّحقة، ولد سنة 1898 بمدينة المنستير التونسية، أنهى تعلمه الابتدائي بها والتحق بالعاصمة التونسية لمتابعة دراسته بالمدرسة الثانوية الصادقية، بعد تخرجه عمل كاتبا بإدارات الأعمال، ثم تخلى عن ذلك فأدار مطبعة وجريدة النهضة سنّتي 1927و1928 وأصدر بعدها جريدة الهلال التونسي (الفرنسية اللسان) سنة 1930، حرّر لسنوات طويلة بجريدةPetit Matin الصباح الصغير، ساهم مع أبناء جيله من المثقفين والأدباء في النهوض بالأدب التونسي قبل الحرب العالمية الثانية، بعدها التحق عبد العزيز العروي بالإذاعة التونسية محررًا ومذيعًا منذ تأسيسها سنة 1938 وكُلّف بإدارتها لفترة قصيرة سنَّتي 1946 و1956 وظل يعمل بها إلى آخر حياته - اشتهر بأسماره وحكاياته وألف للمسرح.

كما أغنى عبد العزيز العروي مكتبة التراث التونسي والعربي بمجموعة هامة من الحكايات الشعبية، حيث جمع ونقح وروى أغلب قصص هذا التراث االحكائي الشعبي، وهذا ما زاد في شهرته، وقد كان يروي تلك الحكايات بنفسه باللهجة الدارجة التونسيّة، على الإذاعة والتلفزة، ثم صوُرت بعض هذه الحكايات تحت عنوان من حكايات عبد العزيز العروي ولا زالت تعرض على الشاشة التونسيّة، تميز العروي في حكاياته بأسلوبه الشيق والسلس وصوته المتناسب مع أحداث حكاياته.

5. تلخيص مضمون الحكاية

تدور أحداث الحكاية في زمن ماضٍ بتونس[14]، كانت هناك أرملة لها ابنًا وحيداً، تعلم في الكتاب علوم اللغة والقرآن، بسبب الفقر امتهنت الأعمال المنزلية في بيوت أعيان وأغنياء المدينة، كبر ابنها وأصبح شابا، في صباح أحد الأيام بعد رؤيته في منامه زواجه من ابنت القاضي، نهض من فراشه مسرعا لأمه يخبرها برغبته في الزواج من ابنة القاضي، فزعت الأم من طلبه وذكرته بالفارق الرهيب بينه وبين عائلة القاضي، وظل لعدة أيام يحث أمه على الذهاب لخطبتها وهي ترده وتنهره، إلى أن بات هزيلا شاحب الوجه هائما دون وعي، فطلب منها أن تذهب لأن حياته مقترنة بها، فذهبت خوفا على صحته، ولكن زوجة القاضي رفضت مقابلتها اعتقادا منها بأنها تحتاج للمال فأعطت خادمتها مبلغا كصدقة لها، عادت الأم حزينة وأخبرت ابنها لكنه ألح على طلبه، ولما سمحت لها زوجة القاضي بمقابلتها وأخبرتها برغبتها بمصاهرتهم، فقالت لها بأن تذهب للقاضي كونه وليها وله الأمر-حتى لا تحرجها- عادت الأم لابنها وأكدت على أن يذهب هو بنفسه لخطبتها، وبالفعل ذهب واندهش القاضي من طلبه، وأجابه إن أراد اتمام الزواج بأن يحضر له خبر "الرجل الذي يبيع الجوز بالصفع على خده"

فرح الإبن معتقدا يُسر المطلب، ولكنه تفاجأ بعدم علم أهل المدينة عنه شيئا، إلى أن التقى بشخص أخبره بأن ذلك الشخص يمكن أن يكون ببلاد مصر أو العراق، فقرر السفر رغم معارضة الأم، وظل يتنقل من مدينة إلى أخرى، ثم وصل إلى بلدة دخل سوقها وظل بها مدة يسأل إلى أن وجد رجلا يبيع الجوز ويطلب من المشتري صفعه، فاقترب منه ليخبره بحكايته، فما كان منه أن طلب منه أن يخبره بحكاية "الرجل الذي يضرب الحديد ويعود لوسط محله"، فحزن لأن الأمر بدأ يصعب وهو في غربة شهور عن أمه وبلدته، ثم انطلق مجددا في بحثه ليلتقي به ولما أخبره برغبته في معرفة قصته، قال له إذا عدت لي بخبر "الرجل الذي يهشم الياقوت" سأخبرك بأمري، وعاود الرحيل لبلاد أخرى حتى وجد ذلك الرجل ونزل ضيفا عنده، وطلب منه معرفة سبب تهشيمه للياقوت _ بحكم أنه ضيفه وواجب الضيافة استجابة طلب الضيف- وبالفعل كان له ما أراد، وعاد للحداد بقصة صاحب الياقوت، ثم عاد لصاحب الجوز، وهكذا جمع أخبارهم وعاد فرحًا مسرورًا لبلدته، لتقر عين أمه به ويتم زواجه من ابنة القاضي، وتنتهي الحكاية بسعادة الجميع.

5.تمثلات الأنساق الثقافية في حكاية "ولد المرا الفقيرة"

1.5.نسق الأنثى

رسخت كل حضارة من الحضارات مفهومًا خاصًا بالمرأة «لقد لعبت المرأة دورا رئيسيا في أساطير الخلق المصرية، فالإلهة " نيت " إلهة منطقة سايس في غرب الدلتا، التي تعتبر من أكثر المناطق المصرية اتصالا بالليبين، خلقت من نور في أرض مليئة بالظلمات»[15]، فالمرأة اعتبرت مصدرًا للحياة، وهذا ما نجده في الطقوس عند تقديم القرابين؛ تكون فتاة جميلة الوجه بهية المظهر تُقدم قربانا يليق بالإله وحماية لأبناء بلدتها من سخط وغضب الآلهة، وعُدت أيضا مصدرا للخصب والجدب، وتغيرت تمثلات دور وجود المرأة عبر أزمان مختلفة، «لتحظى الأنثى كميًا بعدد وافر من الإبدالات الموضوعية والصورية التي تبديها في هيئة مستقلة موهمة بالفعالية والقوة، إلا أن التحكم والمركز يتجلى أساسا من خلال تقنية الأسلوب التصويري ...التي تفلح في تكريس هامشية الأنثى»[16]، وبذلك ترسبت تلك المعتقدات ضمن الذهنية الشعبية، وبالعودة للحكاية نجد أن الأنثى انبسطت تمثلاتها من خلال ثلاث نماذج؛ أم الشاب، أم الفتاة(زوجة القاضي)، الفتاة(العروس).

-**أم الشاب**: أرملة فقدت زوجها وترك لها ابنًا وحيداً، فصار همها الوحيد اسعاده والتكفل بحاجاته، فاشتغلت خادمة بالبيوت تكد طوال الوقت، وهذا ما تصوره دائما المعتقدات الاجتماعية؛ بأن تكون الأنثى زوجة أو أم مُضحية تسهر على خدمة الذكر سواء زوج أو أبناء، راحتها تتحصل براحة الآخرين حتى على حساب نفسها، فأم الشاب ظلت تذهب لبيت القاضي قصد الخطبة « قَاتْلُو شُوْفْ أُمْهَا تَحْسِبْنِيْ نُطْلِبْ صُدْقَة مِنْ عِنْدْهَا، تْحِبْ تَاخُذْ لَحْمَة أَكْبِرْ مِنْ فُمِكْ كِيْفْ تْحِبْنِيْ نْقُوْلْهَا نْحِبْ نَاخُذْ بِنْتِكْ لْوِلْدِيْ؟»

لقد تغلبت عاطفة الأمومة على قسوة الواقع المزري الذي تعاني منه وابنها، وهذا جعلها مُطأطأة الرأس أمام زوجة القاضي، وخوفها على صحة ابنها بعد أن بدأ المرض ينهشه« بْدَاتْ تْشُوْفْ وِلْدْهَا يِصْفَارْ وْيَنْحَالْ حَتَى وَلَى خْيَالْ» دفعها لتكرّار زيارة زوجة القاضي قصد خطبة ابنتها «شَافِتْ وِلْدْهَا وِجْهُو أُصِفْرْ هْزِيْلْ »، منحتها أمومتها القوة لتكون سندًا لإبنها، تحنو عليه وتخاف عليه وتدفعه للتعلم وكسب الرزق، وحتى تحقيق رغبته في زواج يبدو مستحيل من ابنة القاضي، تلك الأم وضح الرّاوي عبد العزيز العروي حال قلبها المفطور على غياب ابنها ومشقته في السفر بعيدا عنها، غريب في تلك الأمصار.

-أم الفتاة(زوجة القاضي)

قدمت الحكاية زوجة القاضي بأنها من طبقة ثرية وذات جاه، تتمتع بسلطة في بيئتها تبعًا لسلطة القاضي التقريرية قانونا وعرفا في مجتمع بلدته، امرأة ميسورة الحال تملك منزلا كبيرا، تتولى مهامه خادمات، صاحبة شأن في بيتها ومثيلاتها من نساء البلدة، حالتها المُرفهة جعلت كل من يقترب منها ويكون في مجلسها محظوظا، لما أتت أم الشاب لم تقبل بمقابلتها ووكلت الخادمة لتقدم لها مبلغا من المال، ذلك أن حالها فقير، ولما عادت أم الشاب مُصرة على مُحادثتها، وأخبرتها بأنها تريد خطبة ابنتها، اعتقدت الزوجة أن المرأة مرسولة لأحد الأعيان فسألتها من يكون؟ لتفاجأ أنه ابنها، اندهشت «قالت هَذِيْ لَزِلْهَا الشَرْ وبِدَاتْ تَاخُذْ وْتَعْطِيْ فِيْ عْقَلْهَا»، وقالت لها بأن أمر الزواج والفصل فيه من شأن الرجال أما النساء فلا رأي لهن «قَالِتْلَها الخُطْبَة مُوْشْ لِلْنْسَاء» وهذا أمر معتاد منذ أزمان طويلة؛ بأن المرأة لا يؤخذ برأيها في أمر الزواج سواء الأم أو البنت، وهذا نسق كرسته الأعراف الاجتماعية المتداولة والمتوارثة جيلا بعد جيل«أضحت الأنثى مجرد صدى لصوت الذكر، ومحيطا يؤثث فعالية البؤرة الطاغية لنشاط الرجل وهيمنته، والنتيجة أن نسق التفاعل يغدو ذو طبيعة أفقية تمضي في إتجاه واحد وتنتفي عن صورها امكانات الجدل المولد للفعالية المتبادلة بين الطرفين»[17].

-البنت

رغم أنها محور مهم في هذه الحكاية، إلا أن حضورها مُغيب فلا وجود لسابق معرفة بينها وبين الشاب الراغب في الزواج بها، ولم يؤخذ برأيها فيما بعد في قبول أو رفض الزواج من الشاب، وهذا نستدل منه أن الموروث الشعبي كرس نمطية صورة المرأة واعتبارها فاقدة للوعي والقرار. هذا التصور مازال في الكثير من المناطق بخاصة النائية والفقيرة.

25.نسق السعي

يتجلى نسق السعي داخل متن الحكاية الشعبية، ضمن مسارات مختلفة البارز فيها كان سعي الشاب في سبيل تحقيق حلمه بالزواج من ابنة القاضي، على الرغم من شرط القاضي له وصعوبة وضعه، إلا أنه أصر على السعي الحثيث للحصول على مبتغاه، وأول محطة صعبة قابلته اقناع أمه بعزمه على الارتحال من بلدته للمجهول، قصد معرفة أخبار "الرجل الذي يبع الجوز بالصفع على خده".

طال غياب الشاب واستوحش الأمر، لكنه استجمع شتات نفسه، وأدرك بأن سعيه سيؤتي ثماره، وبدأ بالتنقل من مكان لمكان باحثًا عن أخبار ذلك الرجل، وعلى الرغم من رفض الرجل الإفصاح إلا أن الشاب واصل المسير والبحث عن قصة الحداد والاستفسار عن ماحدث له وسبب« يُضْرُبْ ضَرْبَة وِيْجِيْ فِيْ قَاعْ الْحَانُوْتْ»، وطلب منه أن يسرد له قصة "الرجل الذي يهشم الياقوت"، هنا أحس الشاب بأن الأمر أصبح مثل المتّاهة، من لغز إلى آخر من مهمة إلى مهمة أخرى، بدأ الملل يتسلل لنفسه، ولكنه تغلب عليه بتذكر وعد القاضي له الموافقة على الزواج إذا نفذ الشرط، فكان سعيه مباركا في نهاية الحكاية، فلكل مجتهد نصيب.

3.5. نسق الرؤيا

قال ابن منظور«والرؤيا ما رأيته في منامك... وهي الرؤى، ورأيت عنك رؤى حسنة حلمتها، وأرى الرجل إذا كثرت رؤاه بوزن رعاه، وهي أحلامه، جمع الرؤيا، ورأى في منامه رؤيا على فعلى بلا تنوين، وجمع الرؤيا رؤى بالتنوين مثل رعى»[18]، وجاءت الرؤيا في الاستعمال القرآني بمعناها اللغوي؛ وهو ما يرَّاه الإنسان في منامه، وكل الرؤى التي تناولها القرآن الكريم كانت عبارة عن رؤى صادقة، فقد قص علينا رؤى سيدنا إبراهيم ويوسف والرسول عليه الصلاة والسلام- رؤاهم الصالحة-وكانت رؤيا الفتيان ورؤيا ملك مصر من الرؤى الصادقة كذلك.

نجد في هذه الحكاية بأن الشاب رأى في منامه أنه يتزوج ابنة القاضي، وتكررت الرؤيا عليه، فزاد في الإلحاح على أمه كي تذهب لخطبتها، وحتى مع معارضة أمه للأمر لسوء حالهم وشدة فقرهم، إلا أنه تمسك بتصديق رؤياه، ومع ذهابه للقاضي واشتراط الإتيان بقصة " اللي يْبِيْعْ الزُوْزْ[19] بالكف"، في آخر الحكاية تحققت الرؤيا وكان له نصيب الحق فيها.

4.5. نسق التراث الشعبي

يُشكل التراث مشترَكا إنسانيًا يجمع بين مكونين؛ أحدهما مادي والآخر غير مادي، جاء في معجم لسان العرب «الورث والورث والإراث والوراث والتراث واحد والميراث أصله موراث»[20]، فكل ما تركه الخلف للسلف يعد تراثًا، ويعرف على أنه «كيان متغير وغير ثابت وله طابع خاص»[21]، فهو أيضا «مجموعة النظم الثقافية والعادات والتقاليد التي انتقلت من جيل إلى جيل»[22]، نفهم من هذا أن التراث مجموعة المكونات الأساسية والثانوية التي

ترتبط فيما بينها، وكذا السياقات الإنسانية التي تعكس النظم الإجتماعية والثقافية المتداولة والمتوارثة جيلا بعد جيل.

نلفي في هذه الحكاية الشعبية بعض سمات التراث الشعبي من بينها الأمثال الشعبية، يُعرفها هجرتي كراب Alexander Haggerty Krappe« المثل يُعبر في شكله الأساسي عن حقيقة مألوفة، صيغت في أسلوب مختصر حتى يتداوله جمهور الناس، وقد يعبر المثل عن الحقيقة بطريقة حرفية فيكتفي بترديد هذه الحقيقة، كما هو الحال بالنسبة لأمثال المواعظ، وقد يلجأ إلى استخدام الاستعارة»[23]، ويرى عبد المجيد عابدين أن الأمثال الشعبية «مجال للانطلاق على السجية ومسرح لتفصيلات الحياة اليومية، وما فيها من مفارقات وسخافات ومتنفس لرغبات الأفراد والجماعات المكبوتة والظاهرة، ومرعى خصبًا للإبداع الفني الذي يثير العجب والعُجاب»[24]، فالمثل الشعبي جملة قصيرة الطول تلخص تجربة أو موقف أو حدث تتصل بالحياة الإنسانية، يعتمد العبارة البسيطة والأسلوب السلس، وهو شديد الارتباط بالجماعة الشعبية منتشر على نطاق واسع ومتوارث من جيل إلى آخر.

بالعودة إلى نص الحكاية نجد بأن عبد العزيز العروي دمج مجموعة من الأمثال الشعبية لتقريب المعنى في ذهن السامع، وهي تقنية يوظفها الرَّاوي الشعبي بفنية وجمالية تخدم الحكاية معنًا ومبنًا، من بين تلك الأمثال: **اللي تِخْدْمُوْ طِيْعُوْ وِالْلِيْ تَرْهْنُوْ بِيْعُوْ**، ذكره الرّاوي عبد العزيز العروي في سرد الحكاية للتدليل على أن دور الشاب أن يسعى في سبيل تحقيق حلمه، والصبر على نوائب الدّهر، وأنَّ بعد العُسر يُسر، ولا بد للشاب من مُسايرة الأحداث رويدا رويدا حتى ينال مبتغاه، واختار أمثلة شعبية أخرى نحو:" **الْلِيْ يْحِبْ اِلِلُوْ**[25] **يَسْهِرْ اللِيْلْ بْكُلُوْ**"، أورد الرّاوي هذا المثل لتعميق شعور الشاب بضرورة الإصرار والكفاح في سبيل تحقيق حلمه، لأنه بسعيه أكيد سينتصر على الصعاب، فالشاب غادر مقر سكنه ووالدته وأصحابه، وبدأ رحلة البحث من مدينة لأخرى، والمعلومات جد شحيحة بخصوص كل بطل من أبطال الحكاية، وكلما وجد بطل بدأ معه مغامرة جديدة وهكذا دوَّاليك إلى أن أنهى ماطُلب منه وعاد سالمًا غانمًا في جعبته حكايّا وأخبار.

أضاف في السياق ذاته "**الْلِي يْحِبْ يْنَالْ مَرْغُوْبُوْا لاَزْمُوْا يَتْعِبْ**"، لدلالة على أن لكل شيء ثمن، ثمنه الجهد المادي والمعنوي المبدول للحصول عليه أيًا كان الشيء المرغوب، "فمن سار على الدرب وصل"؛ لأنه مستحيل أن تجني أهدافًا دون عمل أو سعي، طُبعت هذه

الأمثال الشعبية في الأوساط العامة كنسق تحفيزي داعم في الحياة وضرورة العمل والتفاني في ذلك، بهذا يصبح هذا النسق يتماشى مع ما جاء في التعاليم الدينية الإسلامية الحاثة والدّاعية للعمل وحسن السعي وأن الله لا يُضيع جهد عبده.

من جانب آخر أعطانا الرّاوي عبد العزيز العروي ثلة من الأمثال الشعبية ذات منحى سلبي يكشف مصفوفة من القيم لمن لديهم نفس سيئة وطبّاع دنيئة، نحو" **في التراب ولا في ولاد الكلاب"** و **"لا سلعة لا صنيع"**، إذ تصف نماذج من البيئة السلبية، فأحيانا يصبح مد العون للسيئين نوع من الموافقة والقبول بهم، لذا فصاحب قصة "اللي يكسر في الياقوت" تعبيرا عن تجربة خاضها مع رفاق السوء صادقوه لما كان لهم مصلحة في ماله، ولما ضاع احتقروه وأنكروا عشرته، فما كان منه إلا أن تعلم درسه ترجمه أو لخصه في المثل القائل" **في التراب ولا في ولاد الكلاب"**، وأعطاه كنصيحة للشاب حتى يحترس ويعتبر مما حدث له.

كما توّالت أمثال شعبية أخرى حسب سياقات مختلفة، وعلى اختلافها إلا أنها عكست خلاصة تجارب إنسانية متباينة نحو: **اجْبِدْ مَا تْرُدْ الجْبَالْ تِتْهَدْ**، وهو يعطي درسا لمن يستنزف جميع مقدراته المالية دون وعي وتقدير لمستقبله ووضعه، فسينتهي كل مالديه تدريجيا؛ فمن الطبيعي بأنه لن يبقى شيء، هذا المثل توجيهي لكل فرد في المجتمع أيًا كانت وضعيته، وبما أنه في جانب توعوي وتوجيهي فقد ذكر المثل الشعبي "**وقفت الزنقة للهارب"**، يُقال لما الإنسان يقع في شر أعماله فلا يجد وسيلة للخلاص منها؛ كالهارب مهما زادت سرعته أو كانت خطته فإن كل المنافذ ستُسد ليواجه مصيره المحتوم، أما لما يكون الشخص واع وعلى درّاية بترتيب أولوياته والتخطيط الجيد فسيكون في عيشة هنية وهذا ما يدل عليه "**خُبْزُوْ مَخْبُوزْ وْزِيْتُوْ فِيْ الْكُوْزْ**، من جانب آخر قد تضعنا الحياة في اختيارات صعبة، إما نرضى بالقليل أو ما يكون عبئاً علينا، أو نتخلى لأجل كرامتنا وعزة أنفسنا فيكون "**قْبَرْ مْشَيِدْ وْلَا خْيَالْ مْشُوْمْ"** الموت أعز علينا من حياة لا تشبهنا.

مثلت هذه الأمثال الشعبية التي رددها عبد العزيز العروي داخل أحداث الحكاية، جانبا من جوانب الحياة الإنسانية، المرتبطة بالفرد والمجتمع على مر العصور، فليومنا هذا مازالت الأمثال الشعبية تحظى بخصوصية وتقدير في كل مرة يتم تداولها، كل هذا يمنح تلك «الأنساق الثقافية أن تتمتع بصفة الأزلية والرسوخ التاريخي»[26].

5.5.نسق الأخلاق

شملت حكاية "ولد لمرا الفقيرة" على مصفوفة قيم أخلاقية محمودة، تبنّاها المجتمع على عقود بعيدة وقد تنوعت عبر أحداث الحكاية، فكما ذكرنا سابقا أن الحكاية بها قصة إطار وثلاث قصص أخرى؛ الأولى "قصة اللي يبيع الزوز بالكف" الثانية" قصة اللي يضرب ضربة ويجي في قاع الحانوت"، الثالثة" اللي يكسر في الياقوت"، فمثلا حثت حكاية اللي يضرب ضربة ويجي في قاع الحانوت "على القناعة والرضى وترك الطمع، فالحدّاد قد كان في عيشة هنية في المملكة بين زوجته وأبناءه متنعما برغد العيش، ولكن طمعه قلب رغده إلى بؤس وشقاء، وظل طيلة حياته متندما على نفسه الشريرة الأمارة بالسوء.

بيد أن الكرم والسخاء فضيلة حميدة، إلا أن العطاء دون حدود وفي غير محله سيجعل الكثيرين يطمعون في الإنسان ويكيدون له، وهو ما استخلصناه من قصة "اللي يبيع الزوز بالكف" وكذا قصة" اللي يكسر الياقوت"، كما أكدت الحكاية في قصصها المتداخلة على أهمية اختيار رفاق الدرب فلهم دور إيجابي أو سلبي في حياتنا، والوفاء بالوعود فهي شيمة كرّام النفس، فمن وعد وفى، إضافة إلى البر بالوالدين فالشاب كان طيبا مع أمه حريصا عليها.

خاتمة

على ما تم البحث فيه استخلصنا مجموعة من النقاط فيما يلي:

-تضمنت حكاية "ولد المرا الفقيرة" منظومة من العبر والقيم الأخلاقية المحمودة، التي تُعلي من شأن الفرد وصلاح المجتمع، والعمل على تجسيدها وتكريسها على الدوّام، نحو الوفاء بالوعد، الصدق، بر الوالدين، العمل.

-تماشت مدونة التطبيق"ولد المرا الفقيرة" مع مرتكزات النقد الثقافي، وأفضت بدلالاتها المختفية وراء التمظهرات اللغوية بمجموعة من الأنساق والمدلولات، التي رفدت المعنى وعمقت أثره الجمالي في المتلقي.

-كشف كل نسق من الأنساق الثقافية المبثوثة داخل الحكاية عن مختلف مكونات مصفوفة القيم والممارسات والطقوس التي تقدسها الذهنية الشعبية، وتكرس حضورها الدائم دون شرط أو قيد، على نحو ما ظهر في نسق الأنثى إذ قدمت الحكاية الأنثى على أنها

مسلوبة الإرادة، خاضعة للسلطة الذكورية، ترتبط بقبوله أو رفضه لا رأي لها أو سلطة، وهذا النسق له صور كثيرة في مجتمعاتنا العربية.

-ضمّن الراوي عبد العزيز العروي حكاية ولد لمرا الفقيرة مجموعة هامة من الأمثال الشعبية، لتنبيه السامع وتقوية أثرها الوجداني والعقلي عليه، وهذا التضمين من التقنيات الفنية الهامة التي يستخدمها الراوي الشعبي.

مراجع البحث وإحالاته:

1- أنظر: هيثم أحمد العزام، النقد الثقافي قراءة أخرى، دار المنظومة، جامعة ، الأردن، 2006.، ص76.

2- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2005، ص13.

3- المرجع نفسه، ص83، ص 84.

4- محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1996، ص156،ص157.

5- ينظر: عبد الله الغذامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص80.

6- ايديت كويزيل، عصر البنيوية، تر جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، 1993، ص411.

7- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تر محمد نعيم الوقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005، ص1275.

8- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر،ط2، دت، ص 91.

9- المرجع نفسه، ص 159.

10- عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة "دراسة ميدانية، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، دط، 2007، ص 118.

11- طلال حرب، أولية النص نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1999،ص122.

12- ألكسندر هجرتي كراب، علم الفولكلور، تر رشدي صالح، وزارة الثقافة مؤسسة التأليف والنشر، دار الكتاب العربي، مصر، ص 221.

13- نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة القاهرة، مصر،دت، ص237.

14 - https://www.youtube.com/watch?v=P5_BPjV9Fg4

تاريخ الزيارة 01 ديسمبر 2022، التوقيت 10سا.

15- خزعل الماجدي، الدين المصري، دار الشروق، 1999، الأردن،ص81.

16- شرف الدين ماجدولين، فتنة والآخر أنساق الغيرية في السرد العربي، الرباط، 2012، ص53.

17- المرجع السابق، ص52.

18- ابن منظور، لسان العرب، فصل الراء، ص126.

19- الزوز، الجوز باللهجة التونسية، في الجزائر نقول الجوز.

20- ابن منظور، لسان العرب، فصل الواو، ص 199.

21- فاروق أحمد مصطفي ومرفت العشماوي، دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008، ص 22.

22- ابراهيم مذكور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، 1975، ص 24.

23- الكسندر هجرتي كراب، **علم الفولكلور**، ترجمة رشدي صالح، القاهرة: دار الكتاب، القاهرة، 1967، ص66.

24- عبد المجيد عابدين، **الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى**، دار مصر للطباعة، القاهرة، دت، ص43..

25- اِلُوِ، الشيء المميز ويحتاج للعمل لأجله.

26- عبِد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص79.

قائمة المراجع:

1. ابراهيم مذكور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، 1975.

2. ابن منظور، لسان العرب، فصل النون، دار صادر، مجلد 13، بيروت، 1993.

3. أحمد يوسف، القراءة النسقية سلطة البنية ووهم المحايثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007.

4. ألكسندر هجرتي كراب، علم الفولكلور، تر رشدي صالح، وزارة الثقافة مؤسسة التأليف والنشر، دار الكتاب العربي، مصر.

5. ايديت كويزيل، عصر البنيوية، تر جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، 1993.

6. - خزعل الماجدي، الدين المصري، دار الشروق، الأردن، 1999.

7. شرف الدين ماجدولين، الفتنة والآخر أنساق الغيرية في السرد العربي، دار العربية للعلوم ،الرباط، 2012.

8. طلال حرب، أولية النص نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1999.

9. عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، ط3، 2005.

10. عبد المجيد عابدين، **الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى**، دار مصر للطباعة، القاهرة، دت.

11. فاروق أحمد مصطفي ومرفت العشماوي، دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008.

12. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح محمد نعيم الوقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005،

13. محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي،بيروت، 1996.

14. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب"دراسة معجمية"، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2009.

15.نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة القاهرة، دت، مصر.

16.نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، دت، مصر.

17.هيثم أحمدالعزام، النقد الثقافي قراءة أخرى، دار المنظومة، جامعة ، الأردن، 2006.

.18https://www.youtube.com/watch؟v=P5_BPjV9Fg4